مختبر الأبحاث حول الموارد، الحركية والجاذبية
Laboratoire des Études sur les Ressources, Mobilité et Attractivité - LERMA

MARRAKECH
جامعة القاضي عياض
كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش
Faculté des Lettres et Sciences Humaines - Marrakech

التاريخ والديناميات الاجتماعية

متنوعات مهداة إلى الأستاذ حسن حافظي علوي

تنسيق :
محمد رابطة الدين ومحمد الأكلع

الجزء الأول

2024

التاريخ والديناميات الاجتماعية
متنوعات مهداة إلى الأستاذ حسن حافظي علوي
تنسيق :
محمد رابطة الدين ومحمد الأكلع
الجزء الأول
2024

مختبر الأبحاث حول الموارد، الحركية والجاذبية
Laboratoire des Études sur les Ressources, Mobilité et Attractivité - LERMA

MARRAKECH
كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش
Faculté des Lettres et Sciences Humaines - Marrakech

Histoire et dynamiques sociales

Mélanges en l'honneur du professeur Hassan HAFIDI ALAOUI

Coordination :
Mohamed RABITATEDDINE et Mohamed ELAKLAA

Tome 1

2024

مختبر الأبحاث حول الموارد، الحركية والجاذبية
Laboratoire des Études sur les Ressources, Mobilité et Attractivité - LERMA

MARRAKECH
جامعة القاضي عياض
كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش
Faculté des Lettres et Sciences Humaines - Marrakech

التاريخ والديناميات الاجتماعية

متنوعات مهداة إلى الأستاذ حسن حافظي علوي

تنسيق :
محمد رابطة الدين ومحمد الأكلع

الجزء الأول

2024

التاريخ والديناميات الاجتماعية
متنوعات مهداة إلى الأستاذ حسن حافظي علوي
تنسيق :
محمد رابطة الدين ومحمد الأكلع
الجزء الأول
2024

مختبر الأبحاث حول الموارد، الحركية والجاذبية
Laboratoire des Études sur les Ressources, Mobilité et Attractivité - LERMA

MARRAKECH
كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش
Faculté des Lettres et Sciences Humaines - Marrakech

Histoire et dynamiques sociales

Mélanges en l'honneur du professeur Hassan HAFIDI ALAOUI

Coordination :
Mohamed RABITATEDDINE et Mohamed ELAKLAA

Tome 1

2024

مختبر الأبحاث حول الموارد، الحركية والجاذبية
Laboratoire des Etudes sur les Ressources,
Mobilité et Attractivité - **LERMA**

MARRAKECH
جامعة القاضي عياض
UNIVERSITÉ CADI AYYAD
كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵜ ⵏ ⵜⵓⵔⵣⵉ ⴷ ⵜⵙⴰⵡⴰⵍⵉⵏ ⵜⵉⵏⵙⵓⵖⵉⵏ - ⵎⵕⵕⴰⴽⵛ
Faculté des Lettres et Sciences Humaines - Marrakech

التاريخ والديناميات الاجتماعية

متنوعات مهداة إلى الأستاذ حسن حافظي علوي

تنسيق :
محمد رابطة الدين ومحمد الأكلع

الجزء الأول

2024

محفوظة جميع الحقوق
©Copyright

الـتـاريـخ والـديناميات الاجتماعيـة

متنوعـات مهداة إلى الأستاذ حسن حافظي علـوي

تنسيـــــــــق :محمد رابطة الدين ومحمد الأكلع

مـنـشـــــورات : مختبر الأبحاث حول الموارد، الحركية والجاذبية (LERMA)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة القاضي عياض، مراكش.

الإيداع القانوني : 2024MO0741

ردمـــــــــــك : 978-9920-8894-0-7

الطبـعـة الأولى : 2024

الطباعة والإخراج الفني : دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط

دار أبي رقراق للطباعة والنشر
10 شارع العلويين رقم *3*، حسان – الرباط
الهاتف : *83 75 20 37 05* - الفاكس : *89 75 20 37 05*
E-mail : editionsbouregreg2015@gmail.com

ولـد حـسـن حـافـظي علـوي بزاوية أوفوس بإقليم الرشيدية في 24 رجب 1381 هـ/01 يناير 1962م، وتابع دراسته الثانوية بثانوية غريس بگلميمة، ثم التحق بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس حيث ناقش دبلوم الدراسات العليا سنة 1989. وفي سنة 2005 حصل على دكتوراه الدولة من جامعة محمد الخامس بالرباط. وتتمحور أبحاثه حول التاريخ الاقتصادي والاجتماعي بالعالم الإسلامي في « العصر الوسيط »، وتاريخ الأفكار والتقنيات وتاريخ المؤسسات السياسية والاجتماعية.

الفهـــــرس

كلمة السيد عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية 9

كلمة السيد رئيس مختبر الأبحاث حول الموارد، الحركية والجاذبية (LERMA)..... 11

تقديم عام..... 13
محمد رابطة الدين ومحمد الأكلع

التعريف بالأستاذ حسن حافظي علوي: مسار باحث حصيف..... 23
البيضاوية بلكامل

الفاعل المسؤول: قراءة في بعض أعمال مجموعة البحث في تاريخ المجال والإنسان بتانسيفت..... 33
محمد الأكلع

المحور الأول: إسهام الأستاذ حسن حافظي علوي في الدراسات الصحراوية

المقاربة المصدرية عند الأستاذ حسن حافظي علوي تجليات الامتداد ومسارات الإمداد... 51
محمد البركة

إعمال التعريفات لتجلية الفروق بين الصحراء والواحات: إسهام في دراسة حيوية المجال المعاشي بالمغرب الوسيط 83
سعيد بنحمادة

فقه البادية والتاريخ في مؤلفات الأستاذ حسن حافظي علوي..... 121
أحمد الصديقي

المحور الثاني: التاريخ والرواية

ما بين الرواية التاريخية والتاريخ من اتصال وانفصال 133
حسن أوريد

المحور الثالث: مصادر جديدة

نصوص تاريخية يمنية عن سلاطين الدولة العلوية مقتبسة من كتاب درر نحور الحور العين بسيرة المنصور علي وأعلام دولته الميامين للطف الله جحاف الصنعاني (ت 1243هـ/1827م)..... 141
عبد السلام محمد أحمد الصباري

أنظار في اختصار كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشريف الإدريسي 181
الوافي نوحي

المحور الرابع: المذاهب الإسلامية في فجر الإسلام

العبد والمولى في حركات الشيعة من الظهور إلى حركة المختار (38-67هـ/658-687م..... 195
عبد الحميد الفهري
المخاض المذهبي بالمغرب الإسلامي إبان عصري الولاة المشارقة والإمارات المحلية المستقلة..... 213
عبد الهادي البياض

المحور الخامس : نظرات في التاريخ المرابطي

أثر الحضارة الأندلسية في حضارة الغرب المسيحي زمن المرابطين 269
فائزة البوكيلي
الدولة المرابطية المشروع الوحدوي والسياسة الفكرية: مراجعات نقدية 281
أحمد الخاطب

المحور السادس: التصوف والقيم الإنسانية

التصوّف والمجتمع بإفريقيّة والمغرب بين القرنين السّادس والتّاسع للهجرة/الثّانـي عشر والخامس عشر للميلاد 331
محمد حسن
الصلات الصوفية والعلمية بين الزاويتين العياشية والقشاشية : التصوف الحاتمي والفلسفي وغريب المسائل..... 359
عبـد الله نجـمـي
في تاريخية مفهوم الكرامة..... 411
محمد موهوب

المحور السابع: التاريخ وصناعة الذاكرة

تقديس الشخص في الثقافة التركية: من جينكزخان إلى أردوغان 439
عبد الرحيم بنحادة
الثمثلات الخمسة لشخصية الأمير عبد القادر أو تاريخ جينيالوجيا البطولة والرمز 469
الجيلالي العدناني

الثمثلات الخمسة لشخصية الأمير عبد القادر
أو تاريخ جينيالوجيا البطولة و الرمز[1]

الجيلالي العدناني[*]

تقديم

تعتبر الكتابة التاريخية حول الجسد والرمز من المواضيع التي لم تنل حظها حتى الآن في الإسطوغرافيا المغربية أو المغاربية. وقد أكد جاك ريفل (Jacques Revel) على أن الجسد الذي يبقى أحد أمكنة التاريخ قد ظل مغيبا إلى حدود الثمانينيات من القرن الماضي،[2] مثلما تحدثت ميشيل بييرو (Michelle Perrot) عن إمكانية كتابة تاريخ الجسد، وخاصة ما يهم الحركة النسائية وجسد المرأة.[3] ويمكن القول إن المؤرخ يشكل صنفا من الأولياء الذين تغيب

(1) هذه المقالة هي صيغة معربة لمداخلة شاركت بها بمناسبة عقد لقاء أولي حول شخصية الأمير عبد القادر بجامعة زيوريخ السويسرية في شهر نونبر من سنة 2021م. وبعد عدة شهور، أي في فبراير 2022م ستشهد فرنسا، وبالضبط مدينة أمبواز (Amboise) التي سجن بها الأمير عبد القادر، حادثا مؤسفا تمثل في تخريب لوحة حديدية من إنجاز أحد كبار الفنانين الفرنسيين، وتجسد هذه اللوحة شخص الأمير كرمز للتواصل والتسامح. وقد سجل هذا الحدث عشية حفل التدشين الذي نظم من أجل المصالحة مع الذاكرة، وأريد له أن يكون مناسبة للتعبير عن الوئام. ويذكرنا هذا الحدث التخريبي بمحاولة أخرى جرت هذه المرة سنة 1949م حين دشنت فرنسا نصبا تذكاريا بالجزائر كرمز للتعايش بين الفرنسيين والجزائريين على إثر الأحداث الدامية بمدينتي سطيف وخراطة التي جرت سنة 1945م. وإذا كانت كل هذه الأعمال قد وصفت بالتخريبية، فإن أعمالا أخرى يمكن تسميتها بالتقويضية قد حاولت نسف المشروع الفرنسي حتى تتمكن من احتوائه وتبنيه وفق منطق تاريخي وسياسي خاص، كما هو حال جبهة التحرير الجزائرية، أو رئاسة الجمهورية بعد وصول الرئيس هواري بومدين إلى سدة الحكم سنة 1965م. فما هي جينيالوجيا تجسيد شخص الأمير في شكل تماثيل ونصب؟ ولماذا استهدف نصب تذكار الأمير بعمل تخريبي، مع أنه كان يحظى بتقدير المقاومين والكولونياليين والماسونيين والثوار الجزائريين على السواء؟ ألم يتحدث الأمير عن/إلى/و مع كل هؤلاء؟ هذا ما ستحاول هذه المقالة الإجابة عنه.

(*) كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس بالرباط.

(2) Yannick Ripa, «L'histoire du corps, un puzzle inachevé,» *Revue Historique*, T. 309, Fasc. 4 (Octobre 2007) : 887-898.

- انظر بشكل خاص مقالة جاك روفيل (Jacques Reville) ضمن:
in Jacques Le Goff, Pierre Nora (dir.), *Faire de l'histoire*, II : Nouveaux objets, le corps (Paris : Gallimard, 1974), 24-227.

(3) Michelle Perrot cité par Yannick Ripa, «L'histoire,» 887.

- انظر خاصة عمل المؤرخة الفرنسية :

أجسادهم في الكتابة التاريخية، وغالبا ما يتم استحضار الرأس الذي هو رمز الفكر والعقل والتدبر. إلا أن رأس المؤرخ الذي يختزل ويتذكر أصواتا متعددة يجب عليه تدبر أمر نقل أصوات الوثائق والفاعلين ضمن مسارات محصورة تعرف أو ترسم منطلقاتها ونتائجها.

وإذا كان موضوع الجسد في رمزيته يحيل على العمل الرائع لكانتوروفيتش (Kantorowicz) «جسدا الملك /Les deux corps du Roi»[1] فإننا لا نتحدث عن الجسد الديني والجسد السياسي من خلال الوظيفتين الدينية والسياسية للملك، لأن حالة الأمير يغلب عليها التأرجح بين الديني والسياسي، وبين الطابع المناهض أو المستسلم للاحتلال الفرنسي.

ولا تعوزنا الدلائل التي تثبت بأن الأمير عبد القادر (1807-1883م)[2] لم يصل درجة الملك، لأنه بقي تحت ظل السلطان المغربي مولاي عبد الرحمان (1822-1859م) إلى حدود استسلامه سنة 1847م. كما أننا لا نزاوج بين رمزية جسدي الأمير والولي الصالح سوى خلال الحقبة الممتدة ما بين 1832م و1847م، لأن ظهور أو صناعة الأجساد الأخرى سترتبط بأحداث لم يكن للأمير صلة بها بشكل مباشر أو أنها حدثت بعد وفاته في سنة 1883م.

والحقيقة أن الكتابة التاريخية بالمغرب لم تحاول التمييز بين صوت المؤرخ وأصوات الآخرين، أي المؤرخين الأقران والفاعلين، وكذا الأصوات الثاوية وراء سطور المخطوط ومنطوق الشهادات.

وجدير بالإشارة إلى أن هاته المقالة ستعنى بدراسة الأجساد والأصوات التي ارتبطت بمسار الأمير عبد القادر خلال مختلف الأطوار المتصلة بحياته وبطولاته أو انكساراته، وبالكيفية التي تمت بها قراءة واستحضار كل هذا بعد مماته، أو «إعادة توظيف شخصه» لتقديم شهادة في مناسبة من المناسبات.

وفي ظل اختلاط التاريخ بالإشاعة، وتزايد وتيرة الحديث عن التاريخ والبطولات عبر مواقع التواصل الاجتماعي، خاصة حينما يتعلق الأمر بتاريخ المقاومة الجزائرية، أو بالسجالات التي تجمع مغاربة وجزائريين حول أحداث بعينها، مثل الثورة الجزائرية والاستقلال، أو حرب الرمال سنة 1963م، أو العلاقات المتوترة أصلا بين البلدين، ارتأينا أن نرصد التمثلات الخمسة للأمير عبد القادر، وكذا الأصوات والمقولات المرتبطة بكل تمثل.[3] وفي الأخير يجب القول إننا

Christelle Taraud, *La prostitution coloniale. Algérie, Tunisie, Maroc (1830-1962)* (Paris : Payot, 2003), 495p.

(1) Ernest Kantorowicz, *Les Deux corps du Roi, Essai sur la théologie politique du Moyen-âge* (Paris: Gallimard, 2020), 898p.

(2) Bruno Etienne, «Abdelkader (1807-1882*), notre F. l'émir,» Grand Orient de France*, N° 44 (2008/2): 58- 67.

(3) سنتناول التمثلات الخمسة المرتبطة بكل مرحلة تاريخية على حدة، وذلك بالرجوع إلى تمثل الولي الصالح والمحارب، ثم تمثل المنفي الثائب، وبعدها التمثل المثوارث من قبل الأحفاد. أما التمثل الرابع فهو الذي صنعته السلطات الفرنسية وشكلت رمزيته، وأخيرا التمثل الخامس الذي ورثته الثورة الجزائرية، وخاصة الرئيس بومدين الذي صنع للأمير عبد القادر تمثالا من البرونز سنة 1968م.

لم نحاول السير على درب الكتابة البيوغرافية، بل سعينا إلى رصد دور الفاعلين الخارجيين في صناعة الجسد والحدث، وهو ما سيسهم في إماطة اللثام عن ظروف الاستعمالات والتوظيفات السياسية للأبطال والبطولات، وتقديمها بطريقة ممنهجة كما لو أنها كانت أحداثا تاريخية صرف.[1]

وبناء عليه، فإن القضايا التي سنعالجها متنوعة وعديدة، لذا سنفتتح مقالنا بطرح تساؤل أولي، وهو: هل يمكن للأبطال أن يتكلموا عن بطولاتهم؟

في البداية لا بد من القول إن ثلاثة تمثلات فقط من تمثلات الأمير عبد القادر هي التي تتفاعل فيها أقوال البطل مع معاصريه، سواء كانوا مغاربة أو جزائريين أو فرنسيين، لأن الأحداث التي تفاعل معها ترتبط بالاحتلال التركي ثم الفرنسي، وبعدها أعمال المقاومة التي سبقت أو تلت معركة إسلي سنة 1844م، أو سيطرة القوات الفرنسية على المحلة أو المدينة المتنقلة للأمير المعروفة باسم السمالة (Smala). بينما نجد أن الثمثلين الرابع والخامس يرتبطان بالثورة الجزائرية، ومحاولات فرنسا تدارك هفوات سياستها الكولونيالية والاستقلال، أو بالانقلاب الذي قاده الراحل هواري بومدين سنة 1965م، حيث كان في أشد الحاجة إلى استحضار ذاكرة الأمير عبد القادر، ومن ثم بناء تمثال له لمحاكاة الخطوة التي أقدمت عليها فرنسا قبل الاستقلال لما حاولت إقامة وحدة سياسية وروحية مع الجزائر التواقة إلى الحرية والانعتاق من ربقة الاحتلال.

• أصوات ومنطوق الأرشيف

كيف لنا الحديث عن سياقات الكلام والحقيقة في ظل تضارب الروايات واختلاف الشهود الذين تجمعهم إكراهات ومنطق الأخوة والعداء، خاصة إذا علمنا بأن الأمر سيأخذ مسارا معقدا بعد نجاح المستعمر في إحداث فجوة بين مقاومة الأمير والقبائل من جهة، وبين الأمير والسلطان المغربي من جهة ثانية. وهنا سيصبح لمنطوق النص وحقيقته نظام خاص، تحول من مجال المبادئ والدين والانتماء إلى مجال الظرفية والتقلبات والحسابات. وسوف تخضع هذه الوثائق والأرشيفات لمعيار مواقع القوة والضعف، خاصة بعد الاستيلاء على محلة الأمير واستسلامه للقوات الفرنسية بقيادة لاموريسيير (Lamoricière). وبعد ذلك ستتحول بطولة الأمير من خانة المقاومة المسلحة إلى بطولة الاستسلام، تم مرحلة مجاهدة النفس التي ستتوج بحدثين هامين وهما حماية المسيحيين الدروز زمن منفاه بدمشق، أو الدخول إلى

(1) لقد سبق أن قمنا بدراسة تناولنا فيها بالتحليل مسارات شخصيات مغربية ارتبطت بفعل المقاومة من خلال رصد علاقتها باحتلال مدينة مراكش، ومساندتها لحركة أحمد الهيبة. ويتعلق الأمر بالشريف إدريس ولد منو، باشا مراكش، والقائد الأمازيغي الكيلولي، والقائد الناجم لخصاصي. حيث بينا السياقات ودورها في صناعة الأحداث واختلاف الروايات داخل التقارير المدنية والعسكرية الفرنسية. انظر الجيلالي العدناني، «الشريف والأمغار والعبد: سير اجتماعية متقاطعة،» **رباط الكتب**، 2014. وانظر أيضا الجيلالي العدناني، «استعمالات السيرة الاجتماعية عند الأنثربولوجيين التأويليين،» ضمن كتاب جماعي حول **كلود ليفي ستروس وكليفورد غيرتز**، تنسيق محمد حبيدة (الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، 2014).

التنظيم الماسوني خلال زياراته المتكررة لعواصم أوروبية. لكن فشل الثورات القبلية ما بين 1865م و1881م سيدخل الأمير في نوع من السبات. ذلك أن شخصه سيعود إلى الواجهة من جديد مع ثورة الريف بفضل مشاركة أحد أحفاده فيها، وهو الأمير عبد المالك، كما ستنبعث ذكراه من جديد كرمز مع انطلاق الثورة الجزائرية، أو بعد الإجهاز على منجزاتها في ظل حكم الرئيس الراحل الهواري بومدين. هكذا سيخرج الأمير من التاريخ ليدخل في النهاية إلى عوالم الإشاعة عبر قنوات وتقنيات التضليل والاستعمال السياسي. وإذا كان شخص الأمير قد أصبح لا يخضع للحدود الجغرافية والسياسية التي تفصل إفريقيا عن أوروبا وآسيا، فإن نفس الشخص ستصبح له حدود وطنية وسياسية، خاصة مع المغرب الذي سينعت بنعوت شتى أهمها خذلان حركة الأمير الساعي إلى تحقيق مشروع الدولة الجزائرية.

من هنا يتبين أن استعادة الخطاب حول الأمير عبد القادر واستعمالاته السياسية سواء كانت صادرة من السلطات المغربية أو الجزائرية أو الفرنسية بشقيها المدني والعسكري، لا يمكنها أن تقدم لنا ترجمة مقبولة وفق شروط الكتابة التاريخية. فلكل ترجمة تمثلاتها ومقولاتها وأهدافها. وسيكون المغرب حاضرا في هواجس الكتابة أو الحديث عن الأمير عبد القادر، ليس فقط لأنه كان فاعلا ومجالا للصراع الفرنسي-المغربي أو الفرنسي-الجزائري أو هما معا، بل بحكم الجوار والتوتر الذي يطبع العلاقات المغربية الجزائرية كما سنبين ذلك في حديثنا عن التمثل الخامس للأمير عبد القادر.

فمن هو الأمير عبر القادر وكيف يتحدث عن نفسه أو بالأحرى كيف تم تقديمه لصالح أو ضد جهة ما ؟

• الثمثل الأول: الأمير، الولي والمحارب

يُفسر صمت المصادر المغربية والجزائرية حول رغبة الأمير في التحول من أمير إلى سلطان، بالرغبة في تفادي الحديث عن الخيانة وعن انقلاب الأمير على السلطان، وهو الذي كان تابعا له حسب المصادر المغربية والفرنسية. بينما تسعى المصادر والكتابات الجزائرية إلى إقامة الحجة، عبر مفارقة تاريخية، على أن السلطان المغربي لم يقف بجانب الجزائر التي كانت تسعى بعد معاهدة تافنا سنة 1837م إلى إقامة نواة الدولة الجزائرية؛ مثلما سيتم الترويج، من خلال روايات مصطنعة وأحيانا متعمدة، إلى أن المغرب لم يساند الثورة الجزائرية، كما يشهد على ذلك حذف اسم المقاوم الجزائري ذي الأصول المغربية بنحدو بوحجر، أحد قادة الثورة الجزائرية وقائد المنطقة الخامسة، من على يافطة اسم ملعب وهران الأولمبي قبيل افتتاح ألعاب البحر المتوسط في شهر يونيو 2022م. والواقع أن التمثل المراد من هذا الجسد الأول هو إقامة قناة تواصل بين المقاومة الجزائرية زمن الاحتلال والثورة الجزائرية قبيل الاستقلال، إلا أن هذا التواصل لا يراعي الظروف التاريخية والرهانات المجتمعية داخل المجتمع الجزائري نفسه. إذ تبين من خلال عملنا حول أصول الطريقة التيجانية، أن الأمير عبد القادر كان يواجه صعوبات داخلية، وأن سلطته كانت مرفوضة بعين ماضي، مما اضطر

معه إلى محاصرتها تسعة أشهر من سنة 1839م. وبالعودة إلى ذخائر أرشيف إكس-بروفنس (Aix-en-Provence) أو المخطوطات والرسائل المخزنية، يمكن رسم خريطة سياسية للغرب الجزائري وللقبائل التابعة أو الرافضة لسلطة الأمير عبد القادر.[1] وقد أفرد الفقيه علي التسولي رسالة في الموضوع بإيعاز من السلطان مولاي عبد الرحمان جوابا على رسالة الأمير عبد القادر المؤرخة بسنة 1254هـ/1837م، أي شهورا قبل محاصرته لقصر عين ماضي والأغواط ومناطق أخرى عديدة رفضت سلطته. وهذا يدل على أن رسالة الأمير كان المراد منها البحث عن الشرعية لمواجهة الجبهة الداخلية، وخاصة القبائل التي كانت ترى أنه لا فائدة من الجهاد أمام قوة الفرنسيين.[2] لكن أهمية سؤال الأمير وجواب الفقيه التسولي تكمن في الترجمة التي قام بها ميشو-بلير (Michaux-Bellaire) لهذه الفتوى، وربطه على وجه الخصوص بين زمن الأمير ومشكلة الانقسام الداخلي الذي سهل احتلال الجزائر (1832-1847م)، ورسالة الشيخ سعد بوه لأخيه ماء العينين سنة 1907م من أجل التوقف عن مقاومة المستعمر بالجنوب المغربي.[3] حيث يكشف الملف الذي نشره ميشو-بلير عن أهمية الوضع الداخلي في عملية الاحتلال بعد احتلال الجزائر وقبيل اجتياح المغرب، ويرسم مستقبل الخريطة السياسية لكل من الجزائر والمغرب.

إن خطاب التخوين الذي تقول به الجزائر المستقلة على إثر حرب الرمال سنة 1963م، وتحاول ربطه بعلاقة الأمير عبد القادر بالسلطان المغربي، يخضع لمنطق التنافر التاريخي، أي أنه يربط بين الماضي الاستعماري ووضع آخر مرتبط بالسيادة على الأرض ومشكلة الحدود التي هي من عواقب مساندة المغرب للأمير عبد القادر. كما أن رواد ومنظري الوطنية الجزائرية لا يهمهم التاريخ أو الوثيقة، ولا الحرب التي قام بها الأمير على قبيلة قلعية بالريف فيما بين سنة 1845م وسنة 1847م، أو ضد جيش ابن السلطان على وادي ملوية، في تهديد صريح لسيادة ووحدة البلد الجار الذي خسر الهبة والحرب والمجال منذ توقيعه على معاهدة لالة مغنية سنة 1845م. كما أن مرآة التخوين الجزائرية لا تعكس الوضعية الداخلية التي تفصل فيها المئات من وثائق الأرشيف بإكس-بروفنس، وهو نفس المعطى الذي ستستغله فرنسا خلال سنوات: 1954-1962م لخلق جبهة داخلية موحدة تتسع للمقاومين والخونة والمسلمين والأوروبيين ضمن جزائر فرنسية متسامحة، كما يتجلى ذلك في التمثل الرابع للأمير الذي حاولت فرنسا استعادته والاحتفاء به كما سنرى.

(1) ANOM (Archives nationales d'Outre-mer), *Fonds Gouvernement général de l'Algérie, 12X88, Lettre du Bachaga Sidi Ahmed Moul Alouah*, sans date. Voir aussi : Jillali El Adnani, *Les origines de la Tijaniyya au Maghreb et sa branche la Hamawiyya en Afrique subsaharienne* (Rabat : Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, 2016).

(2) Michaux-Bellaire, «Traduction de la Fetoua du Faqîh Sidi 'Ali Et Tsoulî, Contebnat le Souâl du Hadj Abdelkader ben Mâhi Ed Din et la réponse,» *Archives marocaines*, T. XI (Paris : Ernest Leroux, 1907) : 117-128 et la suite : 395-454.

(3) Saad Bouh, «Un mandatement de Saad Bouh a Ma el Ainin,» *L'Afrique française*, T.11 (1909) : 225-232.

يجب القول إن الغرض من هذه المقالة ليس هو الكشف عن الحقيقة أو تخوين هذا الطرف أو ذاك، بل يرتبط المراد بأسباب ودواعي بناء وكتابة واستحضار بطولة شخصية جزائرية سجلت حضورها في الغرب الجزائري أو على الحدود وداخل المجالات المغربية، قبل أن تتحول إلى شخصية تمتد صورها وأفعالها إلى مجالات ترتبط بمجالات أوروبية ومستعمرات أو مناطق نفوذ.

فكيف تحول ابن شيخ زاوية قادرية بمدينة معسكر إلى أمير للجهاد؟ وهل يحق له ذلك كما قال محمد الصغير (ت 1853م)، شيخ الزاوية التيجانية بعين ماضي، حين رفض الخضوع لسلطته سنة 1839م بدريعة أنه يستحق لقب سلطان؟ وهو الأمر الذي أفضى إلى محاصرة قصر عين ماضي من قبل الأمير عبد القادر لمدة تسعة أشهر، حتى إذا استعصى عليه اقتحامه، جنح إلى الصلح بمباركة الفرنسيين والسلطان مولاي عبد الرحمان، وتم الاتفاق على السماح له بالدخول إليه لحفظ ماء الوجه وليلا يفقد هيبته، ومغادرة الشيخ التيجاني له رفقة عائلته وأحبابه، على أن يعود إليه بعد ذلك. وقد قام أتباع الأمير بتخريب القصر ونهبه بعد دخولهم إليه، ثم أعاد الشيخ التيجاني وأنصاره بناءه بعد استسلام الأمير للسلطات الفرنسية، وخضوع قصر عين ماضي للاحتلال الفرنسي.[1]

وإذا كان الشيخ التيجاني قد لقب الأمير عبد القادر بالسلطان، فمرد ذلك إلى الطموح السياسي للأمير في ظل الفراغ الذي كان يعيشه الجنوب الجزائري فيما يتعلق بالسلطة والنفوذ. يضاف إلى هذا، أن الوثائق الفرنسية التي تم الإفراج عنها في السنوات الأخيرة تسمي الأمير بالخَلِيفَة، لأنه كان يمثل السلطان مولاي عبد الرحمان، ويتبع لسلطته. فهل ارتبطت هذه التسمية بمحاولة تحميل السلطان المغربي مسؤولية الأحداث حتى يضغط على الأمير ويوجهه بحسب مصلحته الخاصة، وذلك بناء على مبدإ حسن الجوار بين فرنسا والمغرب قبل معركة إسلي سنة 1844م أو بعدها؟

لقد كانت السلطات الفرنسية تطالب السلطان بالضغط على الأمير حتى يكف عن مهاجمتها، أو بتشجيعه على اللجوء إلى المغرب حتى يتمكن من مراقبته أو تنحيته من منصبه، وهو ما يؤكد أن فرنسا كانت تعرف حق المعرفة بأن الأمير تابع للسلطان. ومن جهة أخرى، كان السلطان يقوم بسياسة التسويف، ويقر باستحالة مراقبة الأمير وقدرته على التأثير عليه، حتى لا يحاسب على الهجمات التي كان يقوم بها في المناطق الحدودية. كما يجب التذكير بأن القبائل الثائرة على الحدود كانت قد كلفت المخزن غرامات باهظة واقتطاعات ترابية مهمة. وفي الأخير يمكن القول إن لقب الأمير ينطبق على الأمير عبد القادر، وكذا على الأمير أحمد الهيبة، أو الأمير ولد عايدة بأدرار، وكلهم كما جرت العادة حافظوا على المسافة الفاصلة بين مقام الملك ومقام الإمارة.

(1) Jillali El Adnani, *Les Origines de la Tijaniyya au Maghreb et sa branche la Hamawiyya en Afrique subsaharienne* (Rabat : Editions Marsam, 2007) ; (Rabat : Faculté des Lettres, et des Sciences Humaines, 2016).

• **الشمثل الثاني: المحارب الثائب أو صديق فرنسا**

تعكس التمثلات الخمسة للأمير عبد القادر تعددية السياقات والأدوار التي قام بها، وبخاصة دور المجاهد الذي استطاعت الثورة الجزائرية الاستثمار فيه منذ سنة 1954م وإلى الآن. وتتجلى هذه التمثلات في بناءات وتماثيل وذكريات تمت صياغتها من قبل فرنسا أو الجزائر عبر إعادة تشكيل وتبني صورة الولي الصالح الذي ينبذ العنف ويصبح شخصية مشهورة بعد حمايته للمسيحيين الدروز. بينما ستقوم الثورة الجزائرية باستعادة صورة الأمير المقاوم، وتغيِّب مقاربته في خلق جسر بين المسلمين والمسيحيين وكذا انتماءه الماسوني، لتدخل بذلك في منافسة مع المشروع الفرنسي.

ويستشف بأن إعادة إحياء الأمير المجاهد هو نوع من مقاومة النسيان الذي استمر طويلا، حيث إن قرنا من الزمن أو أكثر يفصل أحداث المقاومة بقيادة الأمير وتلك التي ستنطلق بعد مؤتمر الصمام سنة 1954م. كما أن المقاومات القبلية والجهوية بزعامة الشيخ بوبغلة (1810-1854م) وبوعمامة (1838-1908م)، أو الشيخ بومعزة (1822-1879م) والشيخ المقراني (1815-1871م) ستصبح في خبر كان، وسيتم تناسيها، حيث سوف لا يتعدى الاحتفاء بها المجال الإقليمي، وخاصة بمنطقة القبائل التي وقف أبناؤها إلى جانب هؤلاء المقاومين.

وتعتبر حقبة ما بعد استسلام الأمير عبد القادر أساسية في الخطاب الكولونيالي الفرنسي الذي حاول من خلال التوبة خلق شخصية مسالمة، ويعد هذا من الطرق التي اتبعتها فرنسا لتفادي وضع الأمير في خانة الخيانة لصالح المستعمر، كما أنها سوف تركز على الموروث الصوفي للأمير وأسرته للقول بأن انتهاء وتواري شخص المقاوم هو نهاية لمسلسل العنف المؤقت ليحل محله السلم والصفح الذي هو الأصل والمبتغى. وبسلكها لهذه الخطة، ستتوصل السلطات الفرنسية إلى طريقة جديدة لقراءة تاريخ المقاومة بالجزائر. وذلك لأنها كانت تصنف الطرق الصوفية ضمن أخطر التنظيمات، وتعتبرها فتيلا يشعل المقاومة المسلحة، ثم اكتشفت في وقت لاحق أن الزعامات القبلية أو أن البنية الاجتماعية للقبيلة المحاربة هي القوة الضاربة، فاستطاعت بالتالي أن تؤسس لسياسة إسلامية تقوم على فصل الزوايا أو القبائل المرابطية عن القبائل المحاربة، وهو ما نجحت في القيام به في المغرب وموريتانيا.[1]

ولم يرتبط هذا التحول بالسياسة الفرنسية فحسب، بل كان تقليدا معروفا في المجتمعات التي تعرف تراتبية اجتماعية، وحيث إن الصراع بين رجال الزوايا والرؤساء المحاربين يؤدي إلى نفس النتيجة، أي إلى الابتعاد عن العنف والرجوع إلى التقوى وطلب أو منح المعرفة والسعي للحصول على البركة، فإن الأمر يصبح صعبا على الذكرى والذاكرة حين يتعلق الأمر بهزيمة

(1) انظر مقالتنا:
Jillali El Adnani, «Les saints à l'épreuve du pouvoir: histoire d'une sainteté et anthropologie d'une culture,» Hespéris-Tamuda, Vol. 31 (2008): 61-100.

أمام المحتل الفرنسي الذي يحاول الترويج لمشروعه القائم على التوفيق بين تفوقه العسكري وحرصه على حفظ كرامة وثقافة وديانة المهزوم. لكن قوى مقاومة قادمة سوف تعمل على رفض ذلك من خلال محو ونبذ الصورة التي حاولت فرنسا الترويج لها، والتي كانت إلى حد ما صحيحة. إذ سيعمل المقاومون الجزائريون ومعهم الوطنيون أو الإسلاميون على إحياء صورة المجاهد عبد القادر من خلال التركيز على سنوات المقاومة المسلحة.

• الثمثل الثالث: الولي والإشعاع الفرنسي والماسوني

لم يكن في مقدور السلطات الفرنسية أن تبني برنامجها التصالحي المرتكز على شخصيات دينية أو قبلية لتقيم من خلاله مشروع بناء وطن للجميع يتعايش فيه المسلمون والأوروبيون تحت غطاء إصلاحات قانونية وتشريعية. ويجب القول إن تحالف أغلب مشايخ الطرق الصوفية مع المحتل الفرنسي، ذي القوة العسكرية الضاربة، لم يكن ليقنع الفرنسيين أو الجزائريين كي يصبحوا رموزا أو جسورا ضمن مشروع المصالحة والتعايش. من هنا أتت صعوبة تبني شخصية تنتمي لحركة صوفية أو قبلية أو منطقة بعينها، من أمثال الشيخ المقراني بمنطقة القبائل أو بوعمامة بالغرب الجزائري. وقد يقول قائل إن الأمير عبد القادر كان يمثل بدوره الطريقة القادرية والغرب الجزائري، ومن ثم وجه الشبه بينه وبين الزعامات التي سبق ذكرها.

فما الذي يميز الأمير عبد القادر عن باقي الزعامات الدينية والسياسية ؟ ارتبطت سمعة هذا الأمير بالولي الصالح وبالمحارب الذي استطاع أن يخلق مجالا سياسيا معترفا به، وبالتالي ستشكل رمزيته جسرا بين المقاومات الأولى وبين الثورة الجزائرية. كما أنه الشخص المفاوض الذي سيستسلم ويدافع عن فكرة التعايش ليعطي الفرصة لنابوليون الثالث (Napoléon Bonaparte, Napoléon III) للحديث عنه في إطار مشروع تأسيس المملكة العربية (Royaume arabe)، ويطلق سراحه من أجل توظيف شخصه وصورته بالمشرق.[1] والملاحظ أن الأمير عبد القادر لم يعد بالشخصية الجزائرية التي تحدثت عنها الصحف الفرنسية والأوروبية، بل إنه أصبح تلك الشخصية التي دخلت السجن وتعرضت للظلم والخذلان، قبل أن يتم الاعتراف بذلك، ويتم نفيه إلى مدينة بورصة بتركيا سنة 1852م، ثم نحو دمشق بعدها بثلاث سنوات. وسيمد الأمير عبد القادر خلال مقامه بدمشق أحد أهم الجسور التي ستخلق حوارا وتسيل مدادا كثيرا بين العالم الإسلامي والمسيحي. وذلك لأنه سيقف في وجه الظلم والتقتيل الذي تعرض له المسيحيون حين قام بحماية الآلاف منهم سنة 1860م. [2]الأمر

(1) Bruno Etienne, «Abdelkader (1807-1882), notre F. l'émir,» Grand Orient de France, N° 44 (2008/2): 58- 67, 65.

(2) انظر أرشيف إكس-بروفنس:
Archives d'Aix-en-Provence : 139 APOM 3/14/3.
يعرف هذا الأرشيف في الوقت الحالي باسم مركز أرشيف ما وراء البحار. ويعتبر من ضمن الذخائر الهامة وخاصة ما يتعلق بأرشيفات الشخصيات المدنية والفكرية والعسكرية.

الذي سيجعل منه شخصية محببة ومشهورة داخل أوروبا كلها، بل سيصبح من خلال جولاته ولقاءاته في أوروبا وبريطانيا ودول أخرى عديدة، شخصية بطولية لم يمنعها ذلك من الانتماء للتنظيم الماسوني.[1] وقد أشار برنو إتيان (Etienne Bruno) إلى رسائل الأمير عبد القادر الموجهة إلى الوسطاء الذين دعوه للدخول في التنظيم، وبعد مماته سنة 1883م، سيحاول أبناؤه وحفدته الاستثمار في تاريخه البطولي عبر المشاركة في أحداث سياسية مرتبطة بفلسطين أو الجزائر مثلما هو الحال مع خالد الجزائري، أو في المغرب بعد تعاون عبد المالك الجزائري مع الألمان لمؤازرة ثورة الريف بقيادة عبد الكريم الخطابي وبعده ابنه محمد بن عبد الكريم الخطابي. وسيدفع كل هذا التراكم بالسلطات الفرنسية إلى صنع رواية تاريخية ورمزية سياسية لخدمة مشروعها الذي كان يهدف إلى تصحيح هفوات السياسة الاستعمارية وإطالة عمر الوجود الفرنسي بالجزائر.

• الثمثل الرابع لشخصية الأمير: استعادة رمزية الأمير من قبل السلطات الفرنسية

حاولت السلطات الفرنسية أن تجعل من الأمير عبد القادر شخصية تتقاطع فيها الرؤى الفرنسية والجزائرية بكل تلاوينها حين أصبح وجودها مهددا بالجزائر فيما بين 1945م و1962م. فقد شهدت الجزائر أحداثا دامية خلال نهاية الحرب العالمية الثانية بعد أحداث سطيف وخراطة التي عرفت انتفاضات ومظاهرات انتهت بسيول من الدماء، وبسقوط الآلاف من القتلى والجرحى. وما يثبت تضرر فرنسا من هذه الانتفاضة قيامها بمشروع بناء صرح يحمل اسم الأمير عبد القادر، ويتعلق الأمر ببناء منارة بهضبة كاشرو في نواحي معسكر، وذلك في 15 أكتوبر من سنة 1949م. وقد تمنت فرنسا ألا تثير شكوك الجزائريين بإحيائها لصورة تمجيد الذاكرة، لكن لا يخامرنا شك بشأن الغرض المنشود من وراء هذه الخطة، ألا وهو محاولة إطفاء نار المقاومة واستمالة المواطنين. ولذا عمدت السلطات الفرنسية إلى نحت مقولة للأمير تخدم مشروعها وهي: «لو استمع إلي المسلمون والمسيحيون لعملت على إنهاء اختلافاتهم ولجعلت منهم إخوة داخل وخارج الجزائر.»

لقد تجنبت السلطات الفرنسية أن تبني للأمير عبد القادر تمثالا يشبه ذلك الذي خصصته لعدوه الجنرال توماس بوجو (Thomas Bugeaud)، وكان حفل التدشين رمزي بامتياز على اعتبار أنه جمع كافة الفاعلين من أصدقاء وأعداء. ولم تتوان فرنسا في دعوة الزعامات القبلية وباشاغات (Bachaga) الغرب الجزائري الذين ناهضوا الأمير أو الزعامات الدينية مثل شيخ الطريقة التيجانية. بل إنها قامت بدعوة حفدة كل من الأمير عبد القادر والجنرال بوجو كعربون للمصالحة، ودليل على الرغبة في بناء مجتمع يضم الجزائريين والمعمرين معا. لكن هذا المشروع كاد يتعرض لعمل تخريبي سنة 1949م من قبل المنظمة السرية، وهي التنظيم

(1) Bruno Etienne, *Abdelkader et la franc-maçonnerie suivi de Franc-maçonnerie et ésotérisme* (Paris : Dervy, 2008).

الذي سيتحول إلى جبهة التحرير الجزائرية سنة 1954م.[1] وسوف يشكل هذا المشروع الكولونيالي بعد سنوات نموذجا استلهمت منه الدولة الجزائرية رمزيتها من خلال تبنيها له، ولكن هذه المرة في شكل تمثال من البرونز، وهو الأمر الذي تحاشته السلطات الفرنسية بالجزائر كما تحاشته بالمغرب لتعارض الفن التشخيصي مع مبادئ الإسلام، وإن كانت قد استعاضت عن إقامة نصب برونزي للماريشال اليوطي بالمغرب وبناء ضريح له قبل أن تنقل رفاته إلى فرنسا سنة 1961م. فهل يشكل مشروع التمثال البرونزي للأمير مشروعا فرنسيا في أصله وشيوعيا أو سوفياتيا في شكله ؟

• الثمثل الخامس لشخصية الأمير: الثورة الجزائرية وإعادة تشكيل رمزية المقاومة من قبل الهواري بومدين: الأمير والكولونيل

في ظل الأزمة الصامتة ثم المعلنة التي ستنفجر بعد سيطرة مجموعة وجدة بزعامة الرئيس بن بلة وعبد العزيز بوتفليقة وهواري بومدين على مقاليد السلطة بالجزائر، سيصبح الموروث «القادري» للأمير حكرا على هذا التيار الذي سيواجه صعوبات سياسية وعسكرية تحولت إلى أزمة شرعية، بل وإلى حرب أهلية خاصة بمنطقة القبائل سنة 1963م، أي أياما معدودات قبل حرب الرمال. وهو الأمر الذي سيؤدي بالرئيس الانقلابي الهواري بومدين إلى محاكاة وتبني المشروع الكولونيالي الذي كان وراء بناء أول تمثال للأمير عبد القادر. ومن ثم، ستخرج الجزائر عن الرمزية الدينية في البناء لتخليد الشهداء والأولياء من بناء الأضرحة إلى نصب تمثال للأمير، والعمل على جلب رفاته من دمشق حيث كان مدفونا منذ وفاته سنة 1883م. وستدفع أزمة الشرعية التي تلت انقلاب سنة 1965م بقيادة هواري بومدين في اتجاه استعادة التاريخ الانتقائي وكأنه الحاضر، وتغييب هذا الأخير لأنه يشكل زمن التناحر والصراع، وبالتالي لم يكن ممكنا نصب تمثال لرواد الثورة الجزائرية من أمثال العربي بن مهيدي (1923-1957م) أو علي عمار المعروف بعلي لابوانت (1930-1957م)، أو جميلة بوحيرد التي لا تزال على قيد الحياة (1935-...)، خاصة وأن الأزمة السياسية التي عرفتها الجزائر كانت تتمثل في الصراعات الشخصية. ومن ثم، كان تبني شخص وموروث الأمير عبد القادر محاولة لإيجاد توافق حول زعيم جزائري من الماضي، ورمز يلتف حوله كل الفرقاء ويوحد الجميع.

وعلى إثر استعادة رفات الأمير من دمشق، أقام الرئيس الجزائري حفلا دينيا وسياسيا وديبلوماسيا بمناسبة حلول ذكرى استقلال الجزائر في 5 يوليوز 1965م. لكن التمثال البرونزي سوف لن يدشن إلا بعد سنتين، أي في 5 يوليوز 1968م، حيث سيحل تمثال الأمير مكان تمثال «العدو اللدود» الجنرال بوجو (Bugeaud). وسيتم دفن رفات الأمير بين قبري الشهيدين العربي بن مهدي (1923-1957م)، ومراد ديدوش(1927-1955م) بمقبرة العالية بالجزائر

(1) Jean Claude Janssen, «Creating National Heroes: Colonial Rule, Anticolonial Politics and Conflicting Memories of Emir ʿAbd al-Qadir in Algeria, 1900–1960s,» *History and Memory*, Vol. 28, Nº. 2 (2016): 3-46, 34.

العاصمة.[1] ويعتبر بن مهيدي وديدوش من مؤسسي جبهة التحرير الجزائرية، ومن الذين كانوا وراء انطلاق الثورة التحريرية سنة 1954م.

خاتمة

لا يمكن لنا أن ندعي بأننا قمنا بدراسة تاريخية صرفة في مقاربتنا للموضوع، ولكننا نؤكد بأن الهدف انصب على تنويع المقاربة لتكون تاريخية وسياسية وسيميائية حتى يتسنى لنا الاستماع إلى الأصوات التي تكلمت عن مسارات الأمير عبد القادر، أو تلك التي سعت إلى إعادة كتابة تاريخه وفق مسار محدد يخدم أهدافها، وخاصة ما يتعلق بالسلطات الفرنسية سواء كانت مدنية أو عسكرية، أو رواد الثورة الجزائرية. ويدل هذا الأمر على أن استعادة شخص الأمير كمدافع عن شرعية المقاومة أو الاستسلام في حال تفوق المحتل «الكافر» عسكريا قد يجعل الكلام باسمه ممكنا لإضفاء الشرعية على التعايش بين المسلمين والأوروبيين داخل جزائر موحدة، وهو المشروع الذي سانده في البداية عباس فرحات الذي سيصبح فيما بعد رئيسا للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية. كما سيصبح بإمكان التيار الثوري بقيادة جبهة التحرير أو الجيش الشعبي الجزائريين التحدث باسم الأمير وربط تاريخ المقاومة ومشروع بناء الوطن زمن الأمير فيما بين سنة 1837م وسنة 1847م مع تاريخ المقاومة الممتد بين سنة 1954م وسنة 1962م.[2]

وبهذا تصبح تمثلات شخصية الأمير عبد القادر لبنة من لبنات ترميم حطام الإمبراطورية أو وسيلة ترمز إلى المرور من المحاولة الأولى لبناء الدولة من قبل الأمير عبد القادر إلى حلم تحقيق الدولة الجزائرية. وبين هذا وذاك هناك تمثلات أخرى تعبر عن الولاية والصلاح وعن الاستسلام والعودة إلى حياة روحية وصوفية عرجت على التعدد الهوياتي والديني من خلال الموروث الصوفي القادري والانتماء الماسوني. ألم يعد الجسد هنا من صنع أصوات تريد أن تمده بروح تخدم توجها سياسيا أو دينيا أو مشروعا وطنيا يتجاذبه مَدّ التاريخ وجزر الذاكرة؟

وإن ما ينبغي تسجيله في الأخير هو أننا لم نركز بشكل كبير في معالجتنا للموضوع الذي تطرقنا إليه على حقيقة الحدث، بل على طرق بنائه وكيفية استحضاره، لنرى كيف أن الأمير المقاوم يصبح وليا تائبا، أو شخصية توافقية، لمواجهة مدّ الثورة الجزائرية ضمن الاستراتيجيات الكولونيالية، أو قد يصير معاصرا لحرب الرمال وأزمة الحكم زمن الرئيس هواري بومدين، أو حاضرا في الدعاية والتوظيف السياسي كلما تنامت الصعوبات التي يواجهها مشروع بناء الدولة والهوية بالجزائر.

---

(1) Janssen «Creating National,» 4.

(2) Abdelkader Boutaleb, *L'Émir Abdelkader et la formation de la nation algérienne* (Alger : édition Dahlab, 1990).